

## موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء

أبو القاسم محمد عبد القادر

حينما نقوم بالبحث عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء ونتصفح كتب الأدب والتاريخ نرى أنه قد تعددت فيه أعمال الباحثين والنقاد وتباينت آراؤهم فمنهم من يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يستقبح الشعر وممارسته وينظر إليه بنظرة الاستكراه والازدراء ومنهم من يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب الشعر وإنشاده وينظر إليه بعين الإعجاب والتقدير وكل فريق يحتج على إثبات دعواهم بالأدلة النقلية والعقلية.

فأما الفريق الأول الذي يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يستكره الشعر، يحتج بالأدلة

التالية:

أولاً: قد جاءت آيات تستنكر الشعر والشعراء، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> يفهم من ظاهر هذه الآيات أن القرآن الكريم يعارض الشعر ويذمه، ولذلك لما نزلت هذه الآيات ذهب حسان بن ثابت (٥٥٣هـ-٦٧٤هـ) وعبد الله بن رواحة (ت ٦٣١م) وكعب بن مالك الأنصاري (٥٩٨-٦٧٠م) وهم يبيكون<sup>(٢)</sup> وأيضاً قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾<sup>(٣)</sup> ويفهم من هذه الآية أن الله سبحانه

١- سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٦.

٢- محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٩٨١م، ج ٢، ص ٦٦٣.

٣- سورة يس، الآية: ٦٩.

وتعالى قد نزه نبيّه صلى الله عليه وسلم عن إنشاده الشعر.

**ثانياً:** قد وردت أحاديث صحيحة في ذم الشعر وممارسته مما يدل على أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يحب الشعر ولا إنشاده كما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: لأنّ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلئ شعراً<sup>(٤)</sup>، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذلك<sup>(٥)</sup>، وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأنّ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له...<sup>(٦)</sup>، وهذه الأحاديث تدلّ على مدى استقباح النبيّ صلى الله عليه وسلم للشعر والشعراء.

**ثالثاً:** أن بعض المستشرقين مثل كارل بروكلمان<sup>(٧)</sup> وغيره من رجال الفكر والنقد يؤكّدون القول بكره النبيّ صلى الله عليه وسلم للشعر وعدم ارتضائه به. ويقولون في سبيل إثبات رأيهم بأن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ينظر إلى الشعر كعادة من عادات الجاهلية ينبغي أن تتجنّب، ولذلك نرى أنه قويت في نفوس المسلمين الأولين كراهية الشعر. وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أهدر دم بعض شعراء قريش كابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب، وأن الشعر لم يتأثر بالإسلام والشعراء الذين تأثروا بالإسلام قد سكتوا عن نظم الشعر وإنشاده كلبيد بن ربيعة (ت ٦٦١م) وسويد بن عددي وغيرهما. وأصبح الشعر ضئيلاً قليلاً، في عصر النبوة والخلفاء الراشدين.

والفريق الثاني يستدلّ على إثبات دعواه بالأحاديث النبوية كذلك، وهي كما يلي:

- ٤- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دارالرشاد الحديثة، ١٩٣٤م، ج ١، ص ٣٢.
- ٥- في رواية جاء هذا الحديث بتغيير يسير "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً"، بدر الدين العيني، عمدة القاري، دار احياء التراث العربي، ج ٤، ص ٢١٧.
- وأيضاً في رواية أخرى ورد هذا الحديث هكذا "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه من أن يمتلئ فمهُ شعراً" انظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٣م، ص ٧٨.
- ٦- ولي الدين الخطيب، مشكوة المصابيح، باكستان، ب ت، ص ٤٠٩.
- ٧- عبد الحميد الندوي، تاريخ الأدب العربي، أردو، دهلي، ترقي اردو بيورد، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٤٥.

عن عروة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً"<sup>(٨)</sup> وعن ابن عائشة التيمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم من هجاني فالعنة مكان كل هجاء هجانيه لعنة"<sup>(٩)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل"<sup>(١٠)</sup>. وقد وردَ في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه: "اهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك"<sup>(١١)</sup>.

ومن هنا ناقش المؤرخون والباحثون هذا الموضوع في العصر الحاضر في مؤلفاتهم باستفاضة، فذكر كلُّ من الدكتور يحيى الجبوري في شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه والدكتور عبد الله الحامد في الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ومحمد عثمان علي في كتابه في أدب الإسلام كلاماً طويلاً في هذا الصدد يفتح أبواب البحث والتحقيق، وسوف نحدّد القول في هذا المقال في مسألتين رئيسيتين:

الأولى: بيان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر، والثانية: توجيه الأدلة وتحليل المواقف التي ساعدت على إشاعة الآراء الخاطئة حول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال. وقبل أن نخوض في تفصيلات الموضوع يجدر بنا أن نلقي ضوءاً على حالة الشعر والشعراء عند العرب قبل مبعث الرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده، فإنه كانت للشعر في نفوس العرب، كما هو معروف، منزلة سامية ومكانة مرموقة، لأنه ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم، فكان يلعب دوراً خطيراً في إيقاد نار الحرب التي كانت تقوم بينهم، وفي إطفائها في نفس الوقت. وبالشعر كانت تنفتح مغاليق الأنفس وتلين قساوة القلوب وتُنال العطايا والهبات، وبإنشاده تعمّر مجالس السمر ومحافل الأدب، ومع ذلك فإن رسالة الشعر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كانت قد انحرفت في كثير من الأحيان عن الوضع الكريم الذي يليق بالإنسانية المهذّبة والخلق الكريم الذي تُهدّب به الحياة والمجتمع، فالعرب كانوا يستخدمون الشعر في وصف النساء بأقبح الأوصاف وانتهاك الحرمات وإثارة

- 
- ٨- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، تعليق: الأستاذ علي فاعور، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٨٦م، ص ٤٥، وورد في العمدة "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً" ابن رشيقي، العمدة، ص ٢٧، وفي رواية أخرى "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة" ولي الدين الخطيب: مشكوة المصابيح، ص ٤٠٩.
- ٩- المصدر نفسه، ص ٤٥.
- ١٠- ولي الدين الخطيب: مشكوة المصابيح، ص ٤٠٩.
- ١١- المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

الحمية وتحريض الناس على القتال والتشاجر ودعوتهم إلى الرذائل والمجون ، فمن هذه الناحية كان عاملاً من عوامل الهدم والفساد وباعثاً من بواعث التدمير والتخريب .

ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الإخاء والمساواة والعفة في القول والفعل والأدب الذي يليق بالمجتمع البشري وفطرته السوية ، فحرّم على الناس الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وحذّرهم من أباطيل القول وزوره ودعاهم إلى أن يجتنبوا الرذائل وأن يتحلّوا بالفضائل وأن يكفّوا عن سيئ القول والفعل ممّا يؤذي نفس الإنسان . كما قد حارب في الشعراء روح العصبية وحمية الجاهلية ونهاهم عن كل ما يثير النفس ويحرّض على الخصومات ويوقد دفين الأحقاد وكمين الضغائن (١٢) .

والشعراء هم أسارى الانفعالات والمشاعر المتغيّرة ، تتحكّم فيهم أحاسيسهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت ، ويرون الأمر الواحد في لحظة أبيض وفي أخرى أسود ، يرضون فيقولون قولاً ، ويسخطون فيقولون قولاً ثانياً ، فهم لا يثبتون على حال واحد ، بل يتقلّبون بتقلّب الأحوال والأزمان ويخلقون في أذهانهم عوالم من الوهم يعيشون فيها فيقولون خلاف الواقع والحقيقة . وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء بدعوة يريد تحقيقها في عالم الواقع ، فله هدف ومنهج وطريق يختلف عن هذا الوضع السائد في عالم الشعراء ، وهو يريد أن يسلك طريقه وفق منهج واضح محدد وسام ، يسعى من خلاله إلى تحقيق هدفه المنشود وهو مفتوح العين بصير بها ويسمع ويشاهد ، يقظ العقل والقلب ، لا يرضى بالوهم ولا يعيش بالرؤى ، ولا يقنع بالأحلام ، حتى تصبح الدعوة واقعاً ملموساً في عالم الناس (١٣) .

وإذا نظرنا بإمعان فإن معظم الشعراء الجاهليين قد سلكوا منهجاً يختلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لذا عارض النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الشعراء ، ولكنه لم يعارض الشعر والفن لذاته ! كما يفهم من ظاهر النص ، بل استنكر النهج الذي وجد عليه الشعراء من الأهواء الزائفة والانفعالات الطائشة . وأما من استخدموا مشاعرهم وعواطفهم في سبيل إسعاد الناس ومصالحتهم وتعويدهم على القيم الإنسانية ، فقد أبدى النبي صلى الله عليه وسلم الإعجاب بهم ، ونظر إليهم بعين التقدير والرضا . كذلك نجد في الجاهلية بعض الأشعار حافلة بالأغراض السامية والمعاني النبيلة حيث يكثر فيها ضرب الأمثال والحكم والقصد إلى المواعظ مما يحث على مكارم الأخلاق وفضائل الإنسانية . فالشعراء قد تغنّوا

١٢- د. عبد المنعم خفاجي وصاحبه : الحياة في عصري الجاهلية و صدر الإسلام ، القاهرة ، ب ت ، ص ٣٠٥ .

١٣- د. أنوار الحق خطيب : الشعر ومكانته في نظر الإسلام ، مجلة الدراسات الإسلامية ، باكستان ، مجمع

البحوث الإسلامية ، العدد ، ٣ ، المجلد ٢٨ ، يوليو - سبتمبر ، ١٩٩٣ م ، ص ٨٢ .

فيها بكريم الشيم، وكل ما يمكن اتخاذه مثلا رفيعا لهم في حياتهم وسلوكهم من كرم وضيافة ومروءة ووفاء ونجدة وإقدام وشجاعة وصبر وتحمل، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أعرب عن إعجابه بهذا النوع من الشعر.

وملخص القول أن حالة الشعر كانت في عهد النبوة غير ما كانت عليه في عهد الجاهلية، فنرى أن الشعر قد تنزه في وجهته وسلم مما كان يدنس من هتك الأعراس، وكشف الأستار وصار من وسائل الدعوة الجديدة ولسانا من ألسنة الكفاح في سبيل تدعيم قوائمها. فرسالة الشعر إذ ذاك كانت رسالة لا تعرف الفحش ولا تحب السوء من القول والفعل وتأنف من الخوض فيما حرم الله، فهي رسالة مستمدة من روح الإسلام وتعاليمه الخالدة وآدابه الكريمة ودعوته الحققة إلى معاملة خلق الله أكرم معاملة قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

يتضح لنا مما سبق أن الشعر في عصر الجاهلية وعصر النبوة على أنواع ثلاثة:

**الأول:** الشعر الملتزم بالإسلام دفاعا عن الدعوة ودوداً عن الدين وهذا الشعر أحبه النبي صلى الله عليه وسلم وأقره الإسلام وسمح به عند الحاجة الملیحة.

**والثاني:** الملتزم بالقيم الإنسانية وهذا شعر كرمه النبي صلى الله عليه وسلم وقدره الإسلام وأمر بتعلمه لوفور الحكمة فيه. ولذلك أرسل عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري قائلاً "مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالم الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"<sup>(١٤)</sup>. وهذان النوعان هما من الشعر الطيب المسموح به.

**الثالث:** الذي يدعو إلى الفحش والرذائل ويخالف التصور الإسلامي، وهو الذي كرهه النبي صلى الله عليه وسلم وحرّمه الإسلام كشعر المديح الكاذب والهجاء الفاضح وشعر الفخر القبلي الجاهلي والغزل الفاحش والشعر الوثني والشعر الذي هاجم الدعوة الإسلامية، فهذا من الشعر الخبيث في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نهانا عنه.

وهكذا نجد الشعراء فريقين: فريق قد ابتعد عن الحق ووقف بشعره يصد عن سبيل الله ويهجو الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وفريق آمن بالحق ووقف يدافع عنه وعن مبلغه. فأما

١٤- د. خالد يوسف: في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب، بيروت، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر،

١٩٨٧م، ص ٨٥.

الفريق الأول فممقوت ومأزور عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأمّا الفريق الثاني فمقبول ومأجور<sup>(١٥)</sup>.

وخلاصة القول: أن الشعر إن لم يقع فيه ما نهى الإسلام عن الوقوع فيه من هتك الأعراس وإثارة الفساد، بل يوافق الحق فهو مقبول في نظر النبيّ صلى الله عليه وسلم وإلا فهو مرفوض ومحظور.

وعلى ضوء هذا الموقف جاءت أقوال النبيّ صلى الله عليه وسلم في الشعر فقد روي عنه أنه قال: "إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"<sup>(١٦)</sup>. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه قبيح الكلام"<sup>(١٧)</sup>. وقال أيضاً: "إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب"<sup>(١٨)</sup>.

والحق أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكن نافرا من الشعر ولا كارها للشعراء وإنه لم يهجن من الشعر إلا لما بدا منه من سمات وخلق لا يرضاه الإسلام ولا ترتاح إليه الأخلاق الكريمة، فالشعر الطيب الحسن في نظره هو ما يسمو بالإنسان ويرقى به إلى المثل العليا ويدلّ على معالي الأخلاق ويحضّ على مكارم الخصال ويعبّر عن القيم السامية ويكون وسيلة من وسائل التربية والتهديب الخلقي والسمو النفسي، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم قد نظر إلى هذا الشعر بعين الإعجاب والتقدير، وهناك كثير من المواقف والوقائع التي تدلّ على أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يحب الشعر ورجاله.

#### أ- تسمية النبيّ الشعر الحق بأسلحة الجهاد:

فلما جاء الإسلام بدعوته إلى العرب اشتدت الخصومة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش، إذ كان اللسان إلى جانب السنان في ميدان الخصومة، وبالأخص إذا حمي الوطيس وكثر

١٥- محمد عثمان علي: في أدب الإسلام، بيروت، دار الأوزاعي، ١٩٨٦م، ص ٨٦.

١٦- ابن رشيقي: العمدة، ص ٢٧.

١٧- ولي الدين الخطيب: مشکوة المصابيح، ص ٤١١، وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح، المصدر نفسه، ص ٤١١.

١٨- ابن رشيقي: العمدة، ص ٢٧.

شعراء قريش واندفعوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه هجاء موجعا، وعلى رأسهم عمرو بن العاص وعبد الله الزبيري وأبو سفيان بن الحارث، وأمام هذا الواقع ودرء الفحش للمشركين وشراسة هجومهم لم يكن للمسلمين من حيلة أو وسيلة يلجأون إليها إلا الرد المماثل، فودُّوا لو يأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهتهم فما هو إلا أن قال لهم "ما يمنع الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم" (١٩) حتى نهض لهم نفر من الصحابة يدافعون عن الإسلام بألسنتهم وينصرونه بأشعارهم - وكان أشدهم وقعا وأكثرهم إبلا ما حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، روي عن كعب بن مالك أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل" (٢٠) - وأيضا قيل: يا رسول الله! ماذا ترى في الشعر؟ قال: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه" (٢١).

#### ب- تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم الشعراء بالتهانئ والجوائز والأدعية:

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتأثر بالأشعار التي ينشدها الشعراء من أتباعه وأنصاره، فيشجعهم، فقد قال فيهم: "هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل" (٢٢) وقال لحسان بن ثابت: "اهجهم - يعني قريشا - فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، واهجهم ومعك جبريل روح القدس، والقرأ أبا بكر يعلمك تلك الهنات" (٢٣). وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث حسان على النيل من المشركين ويدعو له كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٢٤). وعن الشعبي قال النبي

١٩- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص ١٨.

٢٠- ولي الدين الخطيب: مشكوة المصاييح، ص ٤١٠، وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اهجوا قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل"، المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

٢١- المصدر نفسه، ص ٤١٠.

٢٢- ابن رشيقي: العمدة، ص ٣١.

٢٣- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م، ط ٢، ج ١، ص ١٩١.

٢٤- أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق: الأستاذ سمير جابر، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٨٦م، ج ٤، ص ١٤٩.

صلى الله عليه وسلم: "من يحمي أعراض المسلمين؟ قال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، وقال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: نعم، اهجم فإنه سيعينك عليهم روح القدس" (٢٥). وحين جاب حسان بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بقوله:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما قال:

فإنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال له: وقال الله حرَّ النار ففضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة" (٢٦) وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي الشعراء العطايا على أشعارهم، كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قد أوعد كعب بن زهير، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكرا، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد أتى مستأمنا تائبا، أفتؤمنه فأتيك به؟ قال: هو آمن، فحسر كعب عن وجهه وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد كعب قصيدته المشهورة التي مطلعها:

بَأْتَتْ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مَتِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولُ

فتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم عنه ووهب له بُرْدَتَهُ (٢٧) ولما أنشد النابغة الجعدي النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته التي يقول فيها:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتبنا كالمجرّة نيرا

٢٥- المصدر نفسه، ص ١٥٢.

٢٦- ابن رشيقي: العمدة، ص ٥٣.

٢٧- المصدر نفسه، ص ٢٤، هذه البردة اشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم، وقيل بعشرين ألفا، وهي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد تبركا بها، وروي أن عمر بن عبد العزيز ذكر عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه كعبا: وقد توقف في عطاء الشعراء:

وقبلك ما أعطى هنيذة جلة  
رسول الله المستضاء بنوره  
على الشعر كعبا من سديس وبازل  
عليه السلام بالضحى والأصائل

ابن رشيقي: العمدة، ص ٤٢.



بلغنا السماء مجدنا وجدودنا      وإنما لنرجو فوق ذلك مظهرا

أحسن في الشطر الثاني روح الجاهلية وقال له متسائلا: إلى أين يا أبا ليلى؟ فأجابه النابغة:  
إلى الجنة! فسُرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال: إن شاء الله، ثم تابع النابغة إنشاده:

لا خير في حلم إذا لم تكن له      بوادٍ تحمي صفوه إن تكدرا  
ولا خير في جهل إذا لم يكن له      حلِيم إذا ما أورد الأمر أصدرًا

فارتاح النبيُّ صلى الله عليه وسلم بحسن الشعر وجودته ودعا له بقوله: "لا فضَّ الله  
فاك" (٢٨). وقَدِم عمرو بن سليم الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنصرًا وقال:

يا رب! إنني ناشد محمدا      حلف أبينا وأبيه الأتلا  
نحن ولدناهم فكانوا ولدا      ثمت أسلمنا، فلم ننزع يدا  
إن قريشا أخلفوك الموعدا      ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
ونصبوا لي في كداء رسدا      وبیتونا ركعا سجدا  
وقتلونا بالوتير هجدا      وزعموا أن لست تدعو احدا  
وهم أذل وأقل عددا      فانصر، هداك الله نصرا أيدا  
وادع عباد الله يأتوا مددا      فيهم رسول الله قد تجردا  
في فيلق كالبحر يجري مزبدا      إن سيم خسفا وجهه تربدا

فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر إلى سحابة قد بعثها الله فقال: "والذي بعثني  
بالحق نبياً إن هذه السحابة لتستهيل بنصر بني كعب"، وخرج بمن معه لنصرهم (٢٩).

إن قُتِلَتْ بنت النضر بن الحارث (٣٠) عرضت للنبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو يطوف  
فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، و أنشدته أبياتا مطلعها:

٢٨- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٩-٢٠٨، فبنو جعدة يزعمون أنه  
كان إذا سقطت لنابغة سن، نبتت مكانها أخرى، وغيرهم يزعم أنه عاش ثلاثمائة عام ولم تسقط له سن  
حتى مات، القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٤٩.

٢٩- المصدر نفسه، ص ٥٠، كانت خزاعة حلفاء للنبيِّ صلى الله عليه وسلم فلما كانت الهدنة بينه وبين قريش  
أغاروا على حيٍّ من خزاعة يقال لهم بنو كعب، فقتلوا فيهم وأخذوا أموالهم فقدم عمرو إلى النبيِّ صلى الله  
عليه وسلم متنصرا.

٣٠- وكان أبوها قد أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه بقتله بعد أن كثر إيذاؤه له وأسر يوم بدر فقتله.

يا راكباً إن الأثيل مظنة  
من صبح خامسة وأنت موفّق  
إلى أن قالت:

أ محمد ها أنت نجل نجيبية  
من قومها والفحل معرق  
ما كان ضرك لو مننت وربّما  
من الفتى وهو المغيظ المحنق  
والنضر أقرب من قتلت وسيلة  
وأحقهم إن كان عتق يعتق

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلتها" (٣١).

وإن الشاعرة الخنساء وفدت مع بني سليم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأسلمت على يديه وأنشدته شعرها فأعجب بشعرها واستحسنه، وكانت إذا قدمت إليه استزادها من إنشاد الشعر ولربما قال لها: "هيه يا خناس" (٣٢).

ج- إظهار النبيّ صلى الله عليه وسلم إعجابه بالشعر بالإنشاد والاستنشاد والتمثّل به والاستماع إليه:

كان النبيّ صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ذواقاً لكل قول جميل، مدركاً لتأثير الشعر، وكثيراً ما أعرب عن رغبته في الشعر مع بعض الوافدين عليه؛ وإن لم يكن شاعراً فقد أثير عنه كلمات تدل على تقديره وارتضائه له وإعجابه به، كما قال "إن من الشعر لحكمة" (٣٣) "وأصدق كلمة قالها شاعر: قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل". وقد كان عليه الصلاة والسلام يحب كثيراً أن يسمع شعر أمية بن أبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث، كما روي عن عمرو الشريد عن أبيه قال: "ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت" (٣٤).

وفوق ذلك إنه كان يستنشد وينشد ويتمثّل به ويستمتع إليه ويصدقه، كما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من حضر: "أنشدني كلمتك التي تقول فيها:

وحَيَّ جميع الناس تسب عقولهم  
تحيتك الأدني، فقد ترفع النفل

٣١- ابن رشيقي: العمدة، ص ٥٧، جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١، ص ١٩١.

٣٢- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص ١٠٩.

٣٣- جرجي زيدان: تاريخ الأدب العربي، ص ١٠٩.

٣٤- ولي الدين الخطيب: مشكاة المصابيح، ص ٤٠٩.

فإن أظهروا بشراً فأظهر جزاءه  
وإن ستروا عنك القبيح فلا تسل  
فإن الذي يؤذيك منهم سماعه  
وإن الذي قد قيل خلفك لم يقل (٣٥)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قوما نالوا  
أبا بكر بألسنتهم، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! ليس أحد منكم آمن على  
ذات يده ونفسه من أبي بكر، كلكم قال لي: كذبت، وقال لي أبو بكر: صدقت، فلو كنت متخذاً  
خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ثم التفت إلى حسّان، فقال هات ما قلت فيّ وفي أبي بكر، فقال حسّان:  
قلت يا رسول الله فأنشده:

إذا تذكرت شجّواً من أخ ثقةٍ  
فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

حتى وصل إلى:

خير البرية أتقاه وأرفها  
بعد النبي، وأوفاه بما حملا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم "صدقت يا حسّان، دعوا لي صاحبي! قالها ثلاثاً" (٣٦).

وعن أنس بن مالك قال: "جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس، ليس فيه إلا  
خزرجي، ثم استنشدهم شعر قيس بن الخطيم:  
أتعرف رسماً كاطراد المذاهب  
لعمره وحشا غير موقف راكب  
فأنشد بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا  
كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان كما ذكر (٣٧)، وحينما أنشد حسّان بن  
ثابت النبي صلى الله عليه وسلم الشعر التالي ضحك.

لقد غدوت أمام القوم منطقا  
بصارم مثل لون الملاح قطاع  
يحفز عني نجاد السيف سابقة  
فضفاضة مثل لون النهي بالقاعي" (٣٨)

٣٥- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ٥٢.

٣٦- المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٢.

٣٧- أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٣، ص ٩.

٣٨- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، كراتشي، مكتبة مير محمد، ١٣٦٨هـ، ص ٢٢.

وعن ابن عائشة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشعر كلام من كلام العرب  
جزل تتكلم به في نواديها وتسل به الضغائن بينها، قال: ثم أنشد:

قلدتك الشعر يا سلامة ذا الـ فضال، والشيء حيثما جعلنا  
والشعر يستنزل الكريم، كما ينزل رعد السحابة السيلا" (٣٩)

وأن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد عند حفر خندق حين قال أصحابه:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما يقينا أبدا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار  
والمهاجرة" (٤٠). وعن ابن عباس قال أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال: أهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من تعني؟ قالت: لا، فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم: إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم (٤١) (ولولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم)

وعن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد وقد رميت

إصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت (٤٢)

وثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن

رواحة ولكن تبعا لقول أصحابه رضي الله عنهم فإنهم يرتجزون وهم يحفرون فيقولون:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته بقوله: أبينا أبينا (٤٣).

٣٩- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ٤٥.

٤٠- ولي الدين الخطيب: مشكاة المصابيح، ص ٤٠٩.

٤١- المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

٤٢- المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

٤٣- المصدر نفسه، ص ٤٠٩، في رواية: "اللهم" مقام "والله لولا الله" و"رغبوا علينا" مقام "بغوا علينا"

البخاري، ج ٢، ص ٥٨٩.

و ورد في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجامها:

”أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب“ (٤٤).

وعن عوف بن محمد قال: ”قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو في سفر: أين حسّان بن ثابت؟ فقال حسّان، لبيك يا رسول الله وسعديك، قال أحد، فجعل ينشد ويصغي إليه النبي ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كأن رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ”لَهَذَا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقَعِ النَّبْلِ“ (٤٥).  
وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّق أمية في قوله:

رجل وثور تحت رجل يمينه      النسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ”صدق“ (٤٦).

د- إبداء النبي صلى الله عليه وسلم بعض نظراته الصائبة في الشعر:

إن النبي صلى الله عليه وسلم أبدى بعض نظراته في الشعر، فقد ثبت أنه قام في بعض الأوقات والمناسبات ببعض التغيير فيه، كما روي أنه استمع إلى كعب بن زهير في المسجد وهو ينشد قصيدة ”بانث سعاد“ فلما بلغ إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به      مهند من سيوف الهند مسلول

فغير النبي صلى الله عليه وسلم لفظاً منه حيث قال ”من سيوف الله“ بدل من سيوف الهند (٤٧).

وأيضاً روي أنه صلى الله عليه وسلم استمع بعد يوم أحد إلى كعب بن مالك في قوله: ”مجالدنا عن جزمنا كل فخمة“ فقال له أياصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا كل فخمة، ورويت هكذا في سيرة ابن هشام (٤٨).

٤٤- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم: الصحيح لمسلم، ديوبند، شركة مختار، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ١٠١،

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، دهلي، ١٩٣٦م، ج ٢، ص ٦١٧.

٤٥- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٤، ص ١٤٩-١٥٠.

٤٦- المصدر نفسه، ص ١٣٦.

٤٧- عبد اللطيف البغدادي: شرح قصيدة ”بانث سعاد“، الكويت، دار الفلاح، ب ت، ص ١٦٦.

٤٨- ابن هشام: السيرة النبوية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٥م، ج ٣، ص ٦٣.

يفهم من هذه النصوص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتاح للشعر ويفرح به متى كان في موضعه، ولم يشب بزخرف وكذب، ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية وأنه كان يحب الشعراء ويجيزهم ويحنو ويشفق عليهم، ولم يكن كارها للشعر والشعراء.

ولما كانت نظرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والشعراء بهذا النقاء والصفاء والتسامح والرحابة، ولما عرفنا كيف تاهت الآراء في هذه القضية وكيف شاعت الأقوال المضادة والآراء الخاطئة حول موقفه صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء، يجدر بنا فيما يلي أن نوضح تلك الآراء ونردّ على أدلة القائلين بكره النبي صلى الله عليه وسلم للشعر والشعراء، فنقول:

أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...﴾ فليس بصائب، وقد ناقش ابن رشيقي في العمدة هذه الآيات وقال إن المقصود بالشعراء في هذا النص هم الشعراء الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسّوه بالأذى وهم شعراء المشركين والمنافقين، وأما من سواهم من المؤمنين فغير داخلين في شيء من ذلك (٤٩). ألا ترى كيف استثناهم الله عزّ وجلّ ونبّه عليهم فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ (٥٠)؟ يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم.

كما روي عن قتادة أنه لما نزلت هذه الآية ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ جاء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وهم يبكون، فقالوا يا رسول الله! لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء، هلكنّا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم (٥١).

أما ابتعاد القرآن عن أسلوب الشعر ونفي الله الشاعرية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعدم روايته صلى الله عليه وسلم الشعر فكل ذلك ليس بعيب في الشعر، بل هو لموقف خاص اقتضته طبيعة الدعوة والداعية، لأن كَوْن النبي صلى الله عليه وسلم يسلك مثل هذه المسالك مما يسيء إلى الدعوة، فالحكمة من ذلك كما يبدو من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ هي صيانة الوحي عن الاختلاط

٤٩- ابن رشيقي: العمدة، ج ١، ص ٣١.

٥٠- سورة الصافات، الآية: ٣٦.

٥١- محمود آلوسي البغدادي: روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ١٧، ص ٢٤٨.

بالشعر، ثم إن في ذلك لَحِكْمَةً أُخْرَى، وهي ما عرف به الشعر في الجاهلية عند العرب بصلته الموهومة بالشياطين، واستهتار كثير من الجاهلين واستخدامهم الشعر في الفحش والبذاءة والتكسب، كل ذلك جعل من المناسب للدعوة والداعية الابتعاد عن هذا الأسلوب الذي لا يليق لما يحيط به سوء السمعة، ولذلك نجد قريشا تحاول إلصاق تهمة الشعر بالقرآن والنبى صلى الله عليه وسلم للغرض نفسه وهو التشويش على الدعوة ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (٥٢) ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (٥٣)، وأيضاً في كَوْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ حِكْمَةٌ أُخْرَى حَتَّى لَا يَقَالَ أَنَّهُ قَرَأَ كَتَبَ الْأَوَّلِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٥٤)، فكون النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال وتلك الكيفية مما يبعد عنه التخريصات ولا يدع مجالاً للمعاندين أن يشوهوا حقيقة الدعوة في أذهان عامة الناس، ولذلك نفى الله تعالى الشاعرية عنه. أما قوله صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً" فإن هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي وردت في دَمِّ الشعر إنما ورد جميعها في نوع خاص من الشعر وهو أن يكون فيه فحش وخناء، وأيضاً فإن للحديث مناسبة وتكملة، فأما المناسبة فهي كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا الشيطان (٥٥). فمن سياق المناسبة يتضح أن الشاعر عارضهم يهجو أو يقول شراً، ولذلك في بعض الروايات وردت كلمة "هجبت به". ولما سمعت عائشة رضي الله عنها هذا الحديث قالت أراد النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأشعار التي نظمت في هجائه (٥٦).

أما زعمهم أن الشعر لم يتأثر بالإسلام فهذا قول ينقضه الاستقراء العلمي والتتبع للشعر والإحاطة بمصادره، ومن أراد الوقوف على تأثر الشعر بالإسلام فليرجع إلى سيرة ابن هشام التي قد أرخ فيها بضعاً وعشرين سنة من حياة الإسلام الأولى، وفيها من الشعر ما يدحض ذلك الرأي. وقد

٥٢- سورة الصافات، الآية: ٣٦.

٥٣- سورة الطور، الآية: ٣٠.

٥٤- سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

٥٥- ولي الدين الخطيب: مشكاة المصابيح، ص ٤١١.

٥٦- علي شاکر فهمي جابي زاده: حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، إستانبول، ١٣٢٤هـ، ج ١، ص ١٥.

سجل العديد من الباحثين المعاصرين في مؤلفاتهم كثيرا من الأشعار المتأثرة بالإسلام وخاصة منهم الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي والدكتور عبد الله الحامد في الدعوة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

وأما ترك بعض الشعراء قول الشعر وإنشاده بعد الإسلام فهو صحيح. ولكن في نفس الوقت نرى أن شاعرا فذاً مثل لبيد بن ربيعة لم يترك الشعر بتاتا ولكنه قلل منه بعد إسلامه. والذين تركوا الشعر لم يتركوه لأنه شرّ وضلال أو كرهه النبي صلى الله عليه وسلم، بل لأنهم وجدوا أنفسهم أمام معطيات جديدة وقيم حديثة، لم يستطيعوا تحويلها من أفكار إلى أشعار لكبر وشيخوخة، ولتمام نضجهم في الجاهلية، ولانشغالهم بتعلم فروض الدين(٥٧).

أما قولهم أن الشعر قد ضعف في صدر الإسلام بسبب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم فهو قول يبعد عن الحقيقة، لأن كثيرا من الباحثين المعاصرين قد ناقشوا هذه القضية بالتفصيل، فأثبتوا أن الشعر لم يضعف في صدر الإسلام ولم يتخلف بل تطوّر فيه وازدهر، كما قال الدكتور شوقي ضيف: "إن الشعر ظلّ مزدهراً في صدر الإسلام وليس بصحيح أنه توقّف أو ضعّف"(٥٨).

والذين زعموا أن الشعر قلّ في صدر الإسلام فإنهم قارنوه بالجاهلية مع أن صدر الإسلام لا يزيد عن نصف قرن، فكيف نقارن مدته هذه بالعصر الجاهلي الذي لا يقلّ عن قرنين، فإنه لا تناسب بين العصرين، ومن يحكم بالمنطق الحق ويحاول أن يوازن بين ما سبق صدر الإسلام وما قيل فيه، يجده كثيرا وافرا.

وأما الصحابة والمسلمون الأولون فلم يكونوا يكرهون رواية الشعر بل على العكس من ذلك كانوا يروون الشعر وأخباره حتى الشعر الذي هجي به الإسلام والمسلمون، وهو ما يدل على تقديرهم الشعر، وأيضاً أنشد الصحابة والتابعون منه شعر الغزل الذي يتحدّث عن المرأة دون أن يقدر ذلك في دينهم.

روي أن رجلا سأل ابن عباس وهو في المسجد: هل ينقض الشعر الوضوء؟ فقال:

نبأت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

٥٧- د. عبد الله الحامد: موقف الإسلام من الشعر، البعث الإسلامي، العدد، رمضان - شوال ١٤٠١هـ، ص ٩٢.

٥٨- د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مصر، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٤٤.



ثم قام فأَمَّ الناسَ (٥٩). وأيضاً كان ابن عباس يسخر مَمَّن يكره الشعر وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً (٦٠). وأن سعيد بن المسيب كان يعيب من يكره الشعر، وذلك حينما ذكر عنده أن قوما بالعراق يكرهون الشعر فقال: نسكوا نسكا أعجمياً (٦١).

وإضافة إلى ذلك، فإن الخلفاء الراشدين لم يكونوا يروون بأساً من أن يقولوا الشعر هم بأنفسهم وأن يتمثلوا به، فقد نظم كل منهم الشعر (٦٢)، وحرّض بعضهم بعضاً على قرضه وروايته وحفظه حيث قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ارووا من الشعر أعفّه، ومن الحديث أحسنه ومحاسن الشعر تدلّ على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساوئها" (٦٣). وأيضاً قال لابنه: "يا بني أنسب نفسك تصيل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يود حقاً" (٦٤). وقال علي رضي الله عنه: "الشعر ميزان القول"، ورواه بعضهم: "ميزان القوم" (٦٥). وكذلك لم يبق أحد من الصحابة إلا وقد قال الشعر وتمثّل به (٦٦). فلو كان نظم الشعر وإنشاده مكروهاً في نظر النبي صلى الله عليه وسلم لَمَا نظمه وقاله كل من الخلفاء

٥٩- ابن رشيقي: العمدة، ص ٣٠.

٦٠- المصدر نفسه، ص ٣٠.

٦١- المصدر نفسه، ص ٢٩.

٦٢- فمن شعر أبي بكر رضي الله عنه:

أمن طيف سلمى بالبطح الدماثث أرقت أوامر في العشيّرة حادث

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنقذ أهل زمانه للشعر:

هَوْنٌ عليك فإن الأمور بكشف الإله مقاديرها

ومن شعر عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وما عسرة فاصبر لها إن لقبتهما بكائنة إلا سئبتبعها يسر

ومن شعر علي رضي الله عنه:

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قلت قدمها خضين تقدما

ابن رشيقي: العمدة، ص ٣٢، ٣٤.

٦٣- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ٥٢.

٦٤- المصدر نفسه، ص ٥٢.

٦٥- ابن رشيقي: العمدة، ج ١، ص ٢٨.

٦٦- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١، ص ١٩٢، القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص ٥٤.

وأجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين، ولا سعى المسلمون كذلك في كل عصر من العصور يحاولون و حتى القرن العشرين ممارسة الشعر بكل لسان من ألسنة الدنيا ولغاتها.

من كل ما تقدّم من أمثال ونظائر، يتضح لنا موقف النبيّ صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء، فالحق أنه صلى الله عليه وسلم لم يكره الشعر ونظمه، بل إنه اتخذها سلاحاً ضد خصومه وأعداء رسالته. ولم يثبط عن الشعر إلا حين وقف معارضا، ولم يكن الشعر رجسا ولا فسوقا في نظره بل كان منه بيانا وسحرا كما كان منه حكمة. فلو كان الشعر حراماً أو مكروهاً لدى النبيّ صلى الله عليه وسلم لما شجّع طائفة من الشعراء من أصحابه يثيبيهم على الشعر ويأمرهم بعلمه وتعلمه ويسمعه منهم، وما خلع على كعباً بردته. فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يحب الشعراء ويجيزهم ويحنو عليهم ولم يكن كارهاً لهم، كيف! وقد وضع لحسان منبرا في المسجد (٦٧) وكان دائما - كما تؤكد الأخبار والروايات - يدعو الشعراء إلى القول ويسدد خطاهم ويشرق وجهه بإنشادهم، أما الزعم الذي يزعمه الكثيرون أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان لا يحب الشعر بل يكرهه فهو قول ينقضه الواقع المدوّن والتتبع لمواقف النبيّ صلى الله عليه وسلم والإحاطة بأحداثه - كما سبق ذكره - ونختم مقالنا هذا استشهادا بقول أبي حاتم الرازي: "إن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما كان يحب الشعر فحسب، بل يستنشده وينصت له ويعفو ويصفح به عن المجرمين ويقبل التوبة والمعدرة منهم، ويستمتع إلى الشعر ويثيبيهم على الشعر الجيّد ويجيزهم ويحنو عليهم باستماع شعرهم" (٦٨).

\* \* \* \*

٦٧- عن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه

الشعر، ابن رشيّق، العمدة، ج ١، ص ٢٧.

٦٨- عبد الحلیم الندوي: تاريخ الأدب العربي، أردو، ص ١٥٤.